Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol.32 / No.8/ 2024 المجلد 32 / العدد 8/2024

الرواية العراقية بعد 2003 وإشكالية المهجر والشتات: روايات سنان أنطوان أنموذجاً

حسام سامي جواد أحمد رضا حيدريان شهري
جامعة فردوسي مشهد/ ايران جامعة فردوسي مشهد/ ايران/ الكاتب المسؤول
Husamjawad1977@gaimal.com

تاريخ استلام البحث: 30/ 4/2024 تاريخ قبول النشر: 22/ 5/2024 تاريخ نشر البحث: 28/ 8/ 2024

المستخلص

عكست الروايات العراقية بعد العام 2003 مظاهر الحرب الخارجية والحرب الداخلية المتمثلة بالعنف الطائفي والسياسي، وتداعيات تلك الحروب في تفشي العنف وتصاعد موجات الهجرة الداخلية والخارجية وإشكاليات الشتات التي أصابت المجتمع العراقي في المهجر، وتقع أهمية البحث في السعي للإسهام في إضافة جهد علمي في حقل الرواية العراقية بعد العام 2003 وتحولاته السياسية والمجتمعية وما رافقها من أحداث مفصلية في تاريخ العراق الحديث. ويهدف البحث إلى الكشف عن النتاج الروائي في مجال الهجرة والشتات وما يرافقهما من تحولات في المجتمع العراقي الذي أجبر على الهجرة وعيش حالة الشتات طوعاً أو كرهاً وبيان مسألة البحث عن الهوية بين المجتمعات واستخدم الباحث المنهج التحليلي الوصفي في تحليل الروايات مدار البحث بأخذ جزئية الشتات الناتج عن الاغتراب، وتوصل البحث عبر التحليل الروائي الى نتائج أهمها أن الحروب التي خاضها العراق منذ الربع الأخير من القرن الماضي وإلى وقتنا الحاضر أثرت في قضية الهجرة إلى الخارج فهي بحق سبيلا للخلاص وخصوصاً بالنسبة للأقليات المضطهدة في العراق، أما بخصوص إشكاليات الشتات، فإن المجتمع العراقي في المهجر عانى كثيراً من قضية العلاقات الاجتماعية بين المجتمع والمحيط وبين أفراد المجتمع فيما بينهم مما ساهم في بحثهم عن الهوية الضائعة.

الكلمات الدالة: الرواية العراقية، الهجرة، الشتات، الحرب.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol.32 / No.8/ 2024 المجلد 32 / العدد 8/2024

The Iraqi Novel after 2003 and the Issue of Migration and Displacement: Sinan Intiwan's Novels as an Example

Husam Sami Jawad
Department of Arabic Language and Literature/ Ferdowsi University/ Mashhad/ Iran

Ahmad Reza Heydarian Shehri
Department of Arabic Language and Literature/ Ferdowsi University of Mashhad/ Iran/ Responsible Writer

Abstract

After 2003, sectarian and political violence-both internal and external-as well as the consequences of these conflicts-such as the growth of violence, the intensification of waves of internal and external migration, and the issues facing Iraqi society abroad-were all reflected in Iraqi novels. Research is important since it aims to add to the body of knowledge in the subject of Iraqi new studies. Following 2003, and the significant events that marked the political, social, and historical shifts that year in Iraq's modern history. The goal of the study is to shed light on how narratives about migration and diaspora are produced, as well as how these phenomena affect Iraqi society, which was compelled to migrate and live abroad, either freely or involuntarily, as well as to shed light on the problem of people trying to find their identity in different communities. Throughout the research, the researcher employed the descriptive analytical method to analyze the novels, taking into account the diaspora that resulted from alienation. The research arrived at several conclusions through narrative analysis, the most significant of which is that Iraq's wars, which have been ongoing since the last quarter of the 20th century, have had an impact on immigration abroad because it is, in fact, a path to salvation, particularly for the country's oppressed minorities. Regarding the issues facing the diaspora, Iraqi society He struggled greatly in the diaspora because to the problem of social relationships inside the community and with its surroundings, as well as among its members, all played a part in their quest for their missing identity.

keywords: War, diaspora, migration

1.المقدمة

يتناول هذا البحث موضوع الشتات والغربة في الروايات العراقية التي تناولت موضوع الحروب الخارجية التي خاضها العراق والحرب الداخلية التي حدثت نتيجة الصراعات الطائفية والسياسية والتي أدت إلى مأساة النزوح والهجرة والشتات منذ نهايات القرن الماضي حتى وقتنا الحالي.

1.1 تبيين الموضوع:

تُعد الحرب من أكبر عوامل غياب الأمن بما تحمله من تهديد وجودي. ومما لا شك فيه أن تلك التهديدات تدفع الناس للبحث عن ملاذات أمنة بعيداً عن مخاطر الحروب، والحروب الخارجية تحدث في الغالب على حدود الدول أو قريبا منها، بينما تقع الحروب الداخلية أو الأهلية في حدود بلد واحد، ويكون مسرحها في المدن والمناطق الآهلة بالسكان الأمر الذي يقود إلى نزوحٍ وهجرة أعداد هائلة من السكان.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ونظراً لتعدد الحروب في العراق وتكرارها وطول أمدها؛ فقد شهد العراق هجرات كبيرة أو ما يشبه هجرة مستمرة تتراجع مرة وتتصاعد وتيرتها آونة أخرى. والهجرة من بلد تسوء أوضاعه يوماً بعد آخر ولمدد طويلة، فإنها غالباً ما تكون هجرة دائمة.

إن هذا النوع من الحياة الدائمة في المهجر أي حياة (الشتات) له تحدياته ومشكلاته التي تفرضها مصاعب ناتجة أولاً عن أوضاع المهاجرين وطبيعة تعاطيهم مع المجتمعات الجديدة، وثانياً كيفية تعامل المجتمعات ومؤسساتها مع المهاجرين الجدد.

إن إشكاليات الهجرة والشتات لا تقتصر على الجيل الأول من المهاجرين؛ بل تتعداه إلى الجيل الثاني وما بعده، وفي حال كانت تلك المشكلات عميقة وممتدة ومصحوبة بالتمييز تجاه المهاجرين فستؤدي إلى معضلات في الاستيعاب والاندماج وردود فعل تُنشأ مما يسمى بأزمة الهوية. وربما قاد سوء المشكلات في بعض المجتمعات الحاضنة للشتات إلى ردود فعل سلبية تبدأ بالانعزال والتعقيدات النفسية لتصل أحياناً إلى الانزلاق في فخ الكراهية والتطرف.

تعمل علاقات القوة بشكل غير قابل للفصل في إنتاج ظاهرة الهجرة وخلق مشكلات الشتات، فهنا تحضر دائماً علاقات القوة والضعف والحاكم والمحكوم والحرب وضحاياها والعنف والمعنف والغنى والفقر والذكورة والانوثة في دفع الطرف الثاني في ثنائيات تلك العلاقات إلى الهجرة والابتعاد عن مصدر الاخضاع القاهر غير المحتمل ومن ثم وقوعه في دوامة معضلات الشتات. ومما لا شك فيه أن تجربة الاغتراب التي حصلت على مر العقود أنتجت لنا عدداً لا بأس به من الروائيين المبدعين الذين أسهموا بأعمال أحدثت صدى قوياً في الساحة الثقافية إذ فاز بعض منها بجوائز عربية وعالمية مثل فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي وهناك عدد ليس بالقليل من الروايات الأدبية قد دخلت في سباق الترشح لجائزة بوكر مثل يا مريم لسنان أنطوان وطشاري لإنعام كجه جي وأساتذة الوهم لعلي بدر. وهناك من ترشح لجوائز أخرى كجائزة كتارا وجائزة الشيخ زايد وجائزة نجيب محفوظ وغيرها من الجوائز.

1. 2 سابقة البحث

تناول هذا البحث موضوع الهجرة والشتات في الرواية العراقية بعد العام 2003، ولقلة الدراسات المتعلقة بموضوع البحث ارتأى الباحث أن يقوم بهذا البحث والذي يعد الأول من نوعه بحسب علم الباحث، فلم يتناول الباحثون موضوع الهجرة والشتات في الرواية العراقية بعد العام 2003 بشكل منفرد، ومختلف من حيث التطرق إلى زاوية الحرب وتأثيرها على حياة الناس من منظور الراوي بعد أحداث العام 2003 وما رافقها من تحديات مجتمعية فالروايات التي يتناولها هذا البحث تطغى فيها موضوعة الحرب وآثارها المباشرة وغير المباشرة والتي تمتد إلى مدد تتجاوز زمن الحرب كثيراً.

ولابد من الإشارة إلى أنني لا أدعي لنفسي فتحاً في بحثي هذا ولكن حسبي أني قد طرقت باباً لم يطرق سابقاً، وليكون هذا البحث خطوة أولى تفتح الآفاق لخطوات أخرى تعضد دراسة الموضوع وتسد ثغراته إن وجدت هنا أو هناك وقمت بجمع المصادر التي تمت بصلةٍ إلى موضوع بحثي ومحاولة الأخذ منها إلى موضوع بحثي والاستفادة من هذه المصادر وهي:-

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

1.سلام إبراهيم، رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال، 2012.
2. رواية فهرس ورواية يا مريم لسنان أنطوان والتي سأذكرها مفصلاً في قائمة المصادر.

1. 3 أسئلة البحث

1. ما أثر الحروب الخارجية والداخلية التي خاضها العراق في قضية الهجرة والشتات؟
2. كيف أثرت ظروف الغربة والشتات في مسألة البحث عن الهوية؟

1. 4 فرضيات البحث

1. لقد أثرت الحروب الخارجية والحروب الداخلية المتمثلة بالعنف الطائفي والسياسي في زيادة ظاهرة الهجرة والشتات مما أثر في شكل ومضمون المزاج الأدبي للروائي العراقي.
2. لقد أثرت ظروف الغربة والشتات في مسألة البحث عن الهوية في بلاد المهجر بعد أن عانى شخوص الروايات من مسألة الارتباط والتواصل الطبيعي.

2. الإطار النظري للبحث

تبنى البحث دراسة وتحليل النتاج الروائي لعدد من الروائيين العراقيين الذين تناولوا موضوع الحرب والهجرة والشتات وصدرت لهم روايات بعد العام 2003، لأن الأولوية للنص الروائي الوقوف على بنيته الداخلية وتحليل دلالاته، ولمعرفة مديات تطور الرواية لابد من دراسة الرواية العراقية الجديدة دراسة تحليلية كاشفة بوصفها محلية المنبت وعالمية التطلع، والروايات العراقية بعد العام 2003 بطبيعة الحال لا يمكن حصرها، لذا ارتأى الباحث أخذ نماذج من الروايات العراقية المتعلقة بموضوع البحث وهي رواية (فهرس) ورواية (يا مريم) للروائي سنان أنطوان.

وقد توزعت خطة البحث على مقدمة مختصرة للبحث ثم بيان لموضوع البحث وبعد ذلك سابقة البحث وفيها ذكرنا سائر البحوث المؤدية الموضوع ثم أفردنا بعد ذلك لمسألتين وأجبنا عنهما بفرضيتين ثم بعد ذلك الإطار النظري والذي سنقسم فيه محاور البحث إلى مبحثين: المبحث الأول سبيل الخلاص في الهجرة، والمبحث الثاني: الشتات وإشكالياته.

2. 1. المبحث الأول:

سبيل الخلاص في الهجرة

"مهما كانت الحروب بعيدة ومهما بدت أشبه بنزهة، حيث يكون المرء بمنأى عنها؛ فإنها إذا امتدت وطالت كما هي حروب العراق ستحرق الكثير وتتعاظم التكاليف وتترك مأساة في كل ركن بحيث يستحيل إغماض العين عن فجائعها".[1:ص62]

مثلت الهجرة في الروايات التي يتناولها هذا المقال سبيلاً للفرار من مناطق النزاعات المسلحة أو لتجنب تهديدات الاضطهاد وأعمال العنف، وكما ان النزوح بلغ اعداداً مليونية في المجتمع العراقي، فإن تمثلاته تبرز واضحة في الأعمال الروائية المشار إليها. فقد تتبعت الرواية العراقية مسارات الهجرة التي شهدها المجتمع العراقي نحو البلدان المجاورة ثم بلدان المهجر في الغرب غالباً. "وقلما كانت الهجرة خياراً نابعاً من ظرف

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

طبيعي؛ ذلك أنها تبقى قراراً ليس سهلاً حتى في أكثر الأوضاع عادية، ولا يدفع المرء إليه سوى نوع المصاعب. والأمل في وضع أفضل في بلد المهجر، بيد أن الهجرة من العراق جاءت في غالب الأحوال نتيجة لوضع قاهر فرضه استبداد وتضييق سياسي شديد، أو عن الاضطراب وغياب الأمان والفقر بسبب الحروب والعنف".[2:ص2]

ولتلك الأسباب اتخذ سبيل ترك البلاد شكل نزوح جماعي إثر اندلاع الحروب وتصاعد العنف، ومن نتائج تلك الموجات من الهجرة أن تفرق شمل الأحبة، وكثيراً ما تشتت أفراد العائلة الواحدة أو الأصدقاء في أصقاع الأرض من دون رغبة منهم وبخلاف إرادتهم.

"سمع الجرس يرن. نظر من النافذة فرأى وسام يقف عند الباب الخارجي. خرج ليستقبله وتبادلا التحية من بعيد وقبل أن يصل إلى الباب ليفتحه كان وسام قد أخرج من الكيس الورقي الذي يحمله ما بدا كأنه كتاب كبير. فناوله المغلف بصوت يشوبه الحزن "هذا ألبوم الطوابع مالتي. أخذه إلك، دير بالك عليه".

لم يفهم قيس لماذا أعطاه الألبوم في تلك اللحظة بالذات. ابتسم فرحاً بالهدية وقلب صفحاتها السميكة، انبهر بها وبتصاميم وألوان الطوابع.

الله شكد حلو. بس ليش؟ إنت ما تريده؟ راح نسافر بكرة وما أكدر أخذه وياي.

ليش تسافرون؟ الحكومة راح تسفرنا. وين؟ ما أدري. يمكن إيران. ليش؟

يكولون تبعية. شنو يعني تبعية؟ يعني أصلنا إيراني. قالها وسام بسخرية.

انتو صدك إيرانيين؟ لا بس جدي كان عنده جواز إيراني".[3:ص69]

ويشير الروائي العراقي أحمد سعداوي إلى المعنى نفسه ففي مثل هكذا أوضاع تتخذ فيها الهجرة شكل فرار، لا تكون رحلة المغادرة ومسيرة الوصول إلى مكان آمن أمراً ميسراً، زد على ذلك تصبح المغادرة وعملية استكمال مسار الهجرة نفسها أحياناً درباً محفوفاً بالمخاطرة وملغوماً بالخسائر وربما يفضي إلى الهلاك. وكلما بدأت جولة من الحرب أو العنف في البداية ينتصر خيار التشبث بالمكان ويحاول الناس اقناع أنفسهم بأن الأزمة عابرة وستزول، ويقللون من أهمية المسألة أو يراهنون على سرعة انحسارها، ولكن ما أن تسوء الأحوال ويغيب أي أمل بالأفق أو مع تحول المخاطر إلى حالة ملموسة وجدية تقل الفرص وتدفع الناس بغريزة البقاء إلى الابتعاد عن مصادرها وميادينها".[4:ص242-244]

"أدركت وأنا أضع المطبخيات في الصناديق أن هذه سابع مرّة انتقل فيها من بيت إلى آخر في هذه البلاد وثالث مرّة انتقل فيها من ولاية إلى أخرى وأنها أول مرة سأعيش فيها في شقة بأكملها لوحدي. وسألت نفسي ما الذي يعنيه هذا كله؟ أهو جرد للتحولات والهجرات"؟[3:ص35]

إن معاناة النازحين لا تنتهي بالوصول إلى المكان الجديد؛ فدائماً هناك من يحاول أن يلقي بالمسؤولية عن سوء الأوضاع في وجهات اللجوء والنزوح على عاتق النازحين أنفسهم، فبعض سكان المناطق التي تستقبل من تركوا أرضهم وديارهم يلومون القادمين على ارتفاع الإيجارات ومنافستهم على فرص العمل وغيرها بل حتى أن بعضهم يحاول أن يلقي بأمراضه النفسية على المهاجرين بشكل بشع وبصيغة طائفية.[5:ص138]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

"تذكرت وجهه لأنني قد رأيت صورته على موقع القسم عندما كنت أحاول التعرف على المكان ومن يعمل فيه، "جِم كليري. انا اسف كنت في إجازة بحثية في السنة الماضية في فرنسا ولم تتح لي الفرصة لأتعرف عليك. لكنني اطلعت على الملف الأكاديمي والمقالات. أنت من العراق، بغدادي أليس كذلك؟" "نعم. نمير"

"أهلاً بك على متن سفينتنا. هل استقررت وتعودت على المكان؟" "نعم. لا بأس"

" آه، بالمناسبة قل لي هل أنت شيعي أم سني؟" استغربت السرعة التي طرح بها هذا السؤال الشخصي." لماذا؟ ما أهمية ذلك؟

" لأن النيويورك تايمز تقول إن هذا سبب المشكلة كلها في بلدك. ألم يكن صدام سنياً"؟[3:ص248]

تلك الادعاءات تبثها السلطات والإعلام في حالة عجزهما عن توفير الخدمات أو للتنصل من مسؤوليتهما، وتشكل هذه الدعاية ركيزة من ركائز اليمين السياسي بوصفها وسيلة غير مكلفة للتعبئة السياسية. وفي حال وصوله للسلطة أي (اليمين السياسي) لا يترتب عليه التزامات وبرامج وإنفاق يذكر سوى مهاجمة اللاجئين والنازحين.

"سبعة طلاب من بين ستة آلاف طالب. نسبة تعيسة فعلاً ولكن لماذا أفاجأ، فمعظم هؤلاء الطلبة من عوائل غنية والكثير منها يمينية محافظة. وبرنامجها الانتخابي قائم على فكرة مهاجمة النازحين سواء كانوا من الشرق أو الجنوب المكسيكي، الحرب وتكاليفها بعيدة عن عوالمهم ومشاغلهم، وإن كانت قريبة فهم يؤمنون بمنطقها".[3:ص 91]

ويرى الباحث أن مثل تلك السياسات تستهدف الأطراف الأضعف والأقل قدرة لأجل غرس الفرقة بينها وإلقاء تبعات أي فشل عليها ثم إذكاء الصراع فيما بين الفئات الأكثر حرماناً، وهذا يسهم في حرف أذهان المحرومين من توجيه سهام نقدهم إلى السبب الحقيقي لمعاناتهم وتحويلها إلى جدال عقيم فيما بينهم.

وترى إنعام كجه جي أنَّ الهجرةَ في أحد أبعادها هي اتجاه نحو مجهول يصعب اكتناه طبيعته، هي شيء خارج التجربة السابقة للمرء. ولهذا هي مبعث قلق يتعلق بالوجود وهي توديع لحياة مألوفة سابقة، حياة هي جزء من نسيج اعتاده الإنسان وعالم قابل للتوقع، فقد أصبحت الهجرة سبيلاً للكثيرين.[6:ص40]

ويشير أنطوان إلى أنَّ هناك من رفض الهجرة إلى النهاية وتحمّل تبعات قراره، فيوسف في رواية (يا مريم) بعد وفاة أخته حنة تتصل به أخته الأخرى من كندا وتطلب منه بيع البيت والانتقال إلى كندا قربهم خوفاً عليه من الأوضاع التي تزداد سوءاً في العراق، لكنه لا يستجيب لها" فرفضتُ كالعادة. ما راح أطلع. وين أروح واتبهدل بها العمر؟[5:ص18]

وسيضع الإرهاب خاتمة لحياة يوسف في كنيسة (سيدة النجاة) على الأرض التي فضّل البقاء فيها دون أن يواجه مصاعب الهجرة ومجاهيلها. إن ظاهرة رفض الهجرة لدى عدد ملحوظ من شخصيات الرواية العراقية وتفضيل اجتياز الأهوال في البلد على الرحيل؛ ربما تعود إلى الإمكانات الهائلة التي تملكها البلاد وتعد دائما بالرفاهية والاستقرار التي لم تتحقق إلا قليلاً، ذلك الأمل وفترات الرخاء السابقة المحدودة هي التي تجعل المكوث خياراً يحمل رجاءً ملموساً أكثر من الغموض المجرد لوعود الهجرة.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وتطرح الروايات العراقية تحديات تواجه المهاجرين أثناء رحلاتهم تتمثل بمشاقٍ وصعوبات تكلفهم خسائر مادية ومعنوية قد تجهض خططهم وربما تؤدي لفقدانهم حياتهم.

" دفناها في المقبرة الإسلامية في فرجينيا. وفي ثالث أيام العزاء خفَّ عدد المعزين من الرجال. وبعد الظهيرة لم يبق أحد غيري أنا وأبي ونصير الذي أخذ قيلولة".[3:ص148]

ويشير سلام إبراهيم إلى أنَّ النزوح هو أحد الحلول لأولئك الذين لديهم بعض الروابط الاجتماعية في مناطق أخرى من البلاد أكثر أمناً ولكن حتى هذه الهجرة ضمن حدود البلاد، تتحول أحياناً إلى دائمة بسبب طول استمرار الاضطرابات في بغداد لمدة طويلة واعتياد الناس أماكنهم الجديدة.[2:ص2]

لقد شكل الاستبداد وما يفرزه من خوف عاملاً من عوامل الهجرة هرباً من احتمال الاعتقال والسجن أو التعذيب بل حتى الإعدام فلتجنب مواجهة مثل هذه المصائر المهولة يلجأ المحظوظون ممن تكون لديهم فرصة المعرفة باقتراب وقوع المحظور إلى البحث عن ملاذٍ أمنٍ في داخل البلد أو في بلاد أخرى. "ينظر يوسف إلى الجدار في غرفة حنة في صبيحة ذكرى وفاتها فتطالعه صورة جميل أخيه، تعاوده ذكرى هرب الأخ وهجرته الطويلة، فقد غادر عام 1969 بعد أن أُعدِم صديقه القريب إلى نفسه فهرب خوفاً من نفس المصير".[5:ص19]

ويرى الكاتب علي بدر أن الحظ لا يحالف جميع الهاربين فهناك من يقع في قبضة السلطات ليلقى المصير الذي كان يأمل بالإفلات منه. فعيسى الشاعر يحلم بترك البلاد والعيش في الغرب لا لأنه يعاني شدة الاستبداد والاضطرار إلى الاحتفاظ بقصائده دون نشر واحتمال الموت في حرب الثمانينيات فحسب بل لأنه وهو المتأثر بالشعراء الغربيين، يعتقد أن الشاعر يجب أن يعيش تجربة مماثلة لتجاربهم في سياقات وبيئات تشبه تلك التي عاشوا فيها فهو يحتقر الحياة في العراق منطلقاً من تبنيه مركزية أوروبية متعالية.[1:ص124-125]

في مثل هذه البلدان يمكن أن تكون أفعال عادية تماماً أو مخالفات بسيطة أسباباً كافية لدى السلطات في الحكم بالإعدام على من يرتكبونها فقد يدفع الإنسان حياته ثمناً لسعيه للحصول على حق سُلب منه من الأساس. فما يُعد مخالفةً في أعراف وقوانين معظم مجتمعات العالم، يؤدي بمرتكبها في العراق في ظل سلطة مستبدة مفرطة القسوة إلى مواجهة أقسى مصير يمكن أن يخطر على بال انسان وتوقع به أقصى عقوبة يتضمنها القانون.

"وأما الكبار الذين كنت أعرفهم من قبل فبدا وكأن الزمن قد سحقهم بعرباته الثقيلة. وكأن السنين العشر مرت عليهم أكثر من مرة، رواحاً ومجيئاً وتجرعوا كميات هائلة من الألم والحرمان في ظل بلد عُرف بتطرفه في استخدام القانون وغيره؛ من أجل اخضاع معارضيه بالخوف والظلم والقهر والاستبداد".[3:ص21]

"رأيت أبي يصنع اخوتي. كم مرة رأيته ينشر الأضلاع المصنوعة من الزان أو الصندل أو الماهوني أو الجوز أما أنا فأضلاعي من السيسم كما كان يرددها أبي. يكدسها فوق بعضها البعض ثم يأخذ الضلع الأول ويضعه فوق لهب خفيف. يثنيه ويقوسه بعناية ثم ينيمه على منتصف القالب الذي يشبه بطن امرأة حبلى ثم يعيد الكرة مع الأضلاع الأخرى. وهذه اللحظة الأولى التي اتذكرها من عمري عندما شعرت بأصابعه تدغدغ أوتاري بعد أن أكملني. وظل يعزف عليّ ساعتين ثم قبلني كأني حبيبته وركنني على الكرسي. أبصرته ينفخ الروح في اخوتي كل هذه السنين بمزيج من الحزن والفرح. فكل أخ كان يرحل عاجلاً أم أجلاً يأتي أهل الطرب ويشيرون

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

إلى إخوتي فيحملهم أبي إليهم يعزفون عليهم ويتعاملون على السعر ويرحل أخ آخر دون أن أراه، وأظل أنا لوحدي مع أبي لكنه لم يجئ منذ ثلاثة أيام".[3:ص119-120]

2. 2. المبحث الثاني:

الشتات وإشكالياته

تنتج الهجرة بأبعاد واسعة من بلد معين أو لأناس ذوي رابطة ثقافية معينة شتاتاً في بلدان المهجر والشتات هو مجتمع ذو أصول ثقافية أو جغرافية مشتركة يقيم ويعيش في مجتمعات أخرى أوسع وقد بين البحث أن الحرب والعنف والاضطهاد والتمييز وغياب المساواة والفقر كانت اسباباً أساسية في الهجرات الواسعة التي شهدها مجتمعنا العراقي ونتيجة لذلك تكونت مجتمعات عراقية كبيرة في بلدان المهجر مثلت شتاتاً له نسيجه الخاص ومشكلاته وارتباطاته بالبلد الأم وسنتناول هنا أوضاع هذا الشتات كما تمثلتها الروايتان المدروستان بعد أن تناولنا من قبل الهجرة التي نتج عنها.

تتمحور مشكلات الشتات في الروايتين موضوع الدراسة في: مسألة الاندماج وجوانبه الاقتصادية والثقافية، وسياسات الاستيعاب من لدن البلدان المضيفة، ومسائل الهوية الناتجة في معظمها عن المشكلتين الأوليين.

يستعرض يوسف شخصية رواية (يا مريم) الصور على جدران المنزل ويرى أنه لم يبق من العائلة الكبيرة سواه فالصورة الجماعية الأخيرة للعائلة كانت في آخر مناسبة تجمع العائلة في بغداد، ينظر إلى صورة الأخوة والأخوات والأبناء والبنات والأحفاد، فبعدها جاءت حرب 1991، والحصار "ويبدأ الأخوة والأخوات يتساقطون من شجرة العائلة لتجرفهم الريح إلى الغربة أو لتبتلعهم الأرض في قبر العائلة..... تبعثر البقية وأحفادهم في المهاجر وخصوصاً بعد 2003، بين السويد وكندا ونيوزيلندا".[5:ص60]

لقد بعثرت الحرب والحصار والفوضى التي عمت البلاد شمل العائلة ولم تبق منها لدى يوسف سوى الذكريات والصور وخلا البيت الكبير وبقية المنازل منهم.

"تختلط البدايات والنهايات. كل يبكي على عراقه السعيد، لكنني كنت أشعر وأنا أنظر إلى تلك الصور والتعليقات التي تصاحبها بأنني لا أمتلك زمناً سعيداً أحن إليه. زمني السعيد لم يكن قد ولد بعد. ربما أكون سعيدة هناك، بعيداً عن العراق. بعيداً عن الموت والمفخخات وكل هذا الحقد الذي يسري في الشرايين. سنترك لهم البلد ليحرقوه ويمثلون بجثته وسيذرفون دموعهم عليه بعد فوات الأوان الذي فات".[5:ص140]

وفي أكثر الأحيان يستخدم العراقيون تعبيراً شعبياً مميزاً وهو (طشّار) للدلالة على التشتت الذي طال الافراد والعوائل في المهجر.

"حذرني يوسف أكثر من مرة بأن الهجرة والسكن في بلاد اغلبيتها من المسيحيين لن يكون بلا مشاكل وصعوبات، ولا يعني بأنني لن أشعر بأنني أقلية هناك. قال إنني سأتعرض للعنصرية هناك لأنني عربية. يتحدث وكأنه عاش هناك لسنين، مع انه لم يسافر منذ مدة طويلة. كنت أقول له إنني مستعدة أن أتحمل وأقبل بأي شيء مقابل الخلاص والعيش بعيداً عن المفخخات والإرهاب والطائفية".[5:ص113]

ويرى الباحث أن الجيل الأول من المهاجرين يتلقى الصدمة الأشد بسبب الانقطاع عن الحياة السابقة وبدأ حياة جديدة وغريبة وعادة ما يكون المهاجرون الجدد عرضة لمشكلات اللغة والمصاعب الاقتصادية والمعيشية

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

والاختلافات الثقافية، هذا فضلاً عن أسوأ ما يمكن أن يتوقعه المهاجر في الظروف العصيبة وهو تفرق شمل العائلة في أماكن وبلدان متباعدة.

"أما الكبار الذين كنت أعرفهم من قبل فبدا وكأن الزمن قد سحقهم بعرباته الثقيلة. وكأن السنين العشر مرت عليهم أكثر من مرة، رواحاً ومجيئاً وتجرعوا كميات هائلة من الألم".[3:ص21]

ويتخذ الاندماج في مجتمعات الشتات صورا وأشكالا شتى، فالأعمال الروائية تتناول وتعرض حالات تواجه شخصياتها في مسار عملية الاندماج، وهي عملية تبدأ مع تعلم اللغة مروراً بالنجاح في الحصول على عمل، ومشكلة العمل المناسب لمؤهلات المهاجر، وصولا للتعاطي مع الاختلافات الثقافية. كل هذه العوامل تؤثر في قدرة المهاجرين على الاندماج والنجاح فيه. والاندماج هنا يعني القدرة على تأمين التواصل مع الآخرين وتأمين معيشة مناسبة وتحقيق حياة طبيعية في المجتمع الجديد.

"لا امتلك نسخة من شهادة الميلاد". لماذا أين هي؟ "في بغداد". لماذا؟ "لأنني ولدت هناك"

ألا يمكن أن تتصل بهم وتطلب أن يرسلوها لك؟

"يا سيدتي هل قرأت الأخبار مؤخراً أو شاهدت التلفاز هناك مخطوطات عمرها مئات السنين آثار وأرشيفات احترقت وضاعت. من سيبحث عن شهادة ميلادي بعد كل هذا".[3:ص87]

وتقدم رواية فهرس لسنان أنطوان رؤيا جديدة من ناحية تعاطيه لمشكلات الجيل الأول من مجتمعات الشتات مع جملة من الاختلافات الثقافية بين ثقافة المجتمع الأصلي والمجتمع الجديد، فتقاليد المجتمعات متفاوتة وقواعد السلوك تتبعها في بعض التفاصيل.

"مع انني هجرت البيت إلا انني كنت أحرص على التحدث مع نصير مرة كل شهر لتفقد احواله. كنت اغلق السماعة إذا ردَّ أبي أو عشيقته في البداية كنت خائفاً من أن تسيء عشيقة أبي، التي أصبحت زوجته، معاملته. لكنها ظلت لطيفة معه حتى بعد إنجابها طفلين من أبي".[3:ص245]

أن ما يبدو سلوكاً طبيعياً لدى المهاجر الجديد ربما كان خرقاً للمألوف في بلد المهجر. وعليه يواجه المهاجر مواقف منها ما هو مدعاة للاستغراب، ومنها ما يسبب النفور والامتعاض.

""انا اسفة الكتابة يمكن أن تكون علاجاً! الكثير من الجنود العائدين من العراق يمارسون الكتابة كجزء من العلاج النفسي".

ضحكت.

لماذا تضحك؟ " لأن صديقي ما زال في أتون الحرب. والجنود يعودون هنا. أما هو فلا يستطيع أن "يعود" وهذا ما يكتبه فعلاً." "نعم ولكن الجنود ضحايا أيضاً في نهاية الأمر."

لا أريد أن أدخل في جدال معك. الجنود هنا يتطوعون للذهاب إلى الجيش. المدنيون العراقيون لا يتطوعون. ليس لديهم خيار".[3:ص250]

ومن التحديات التي تواجه مجتمعات الشتات مسألة الهوية، فقد أصبح الصراع بين الحاضر المُعاش والماضي الأليم هو الشاغل الأساسي بين العقل والعاطفة.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

" أنظر إلى شبابيك القطار فأبصر أهلي وأصدقائي يلوحون من الشبابيك ويشيرون إليّ بالإسراع. أمشي نحو أقرب باب كي استقل القطار. يقول لي رجل يرتدي بدلة زرقاء وقبعة يقف بجانب الباب: هذا القطار ذاهب إلى المستقبل. أين تذكرتك؟ أبحث في جيوبي عن تذكرة فلا أجد شيئاً".[3:ص92]

" أما البقية فجنود يبدوا أنهم في طريقهم إلى جبهات العراق أو أفغانستان يبدو أن هذه أول سفرة لهم وانهم أنهوا تدريبهم للتو. أعرف ملامح الجنود الذين يعودون من الجبهة. متعبون ومستنزفون، كأنهم ماكينات معطوبة. كنت أرى خرائط الموت والخراب في العراق على وجوه العائدين من جبهات القتال مع إيران، بعضهم يبدو وكأنه نجح في الاحتفاظ بشيء من البراءة في وجهه. لكنهم سيتقنون أدوارهم بسرعة. كان أحدهم يقبض بيمناه على العمود الحديدي وهو ينتظر في الطابور، يحرك سبابته إلى الأمام والخلف وكأنه يضغط على الزناد. هل بدأ إطلاق النار على العراقيين من الآن".[3:ص113]

"شعرت بالحزن وبشيء من الذنب وأنا أودع أخي الصغير لأنني كنت سأتركه لوحده مع أبي. سافرنا إلى كاليفورنيا بسيارة لورن، الجيب رانغلر الحمراء ووصلنا إلى سان فرانسيسكو بعد ثلاثة أيام. وظل هذا الشعور بالذنب يلاحقني، لكن لم يكن بإمكاني أن آخذه معي أو أن اعيله".[3:ص150]

3. نتائج البحث

لقد عالجت الروايات العراقية ظاهرة الهجرة الناتجة عن الحروب المتتالية في العراق بنماذج حية من شخصياتها وأحداثها، ثم تتبعت تطور تلك الشخصيات ومشكلاتها في مجتمعات الشتات. وأبرز عدد من الروايات المدروسة أن مجتمع الشتات لم ينفصل عن أصوله، وبالأخص الجيل الأول من المهاجرين الذين ظلوا يحملون جروح تجربة الحرب والقهر والفقر فضلاً عن مشكلات الاندماج في المجتمعات الجديدة. فآثار الحروب لا يمكن أن تمحى من نفوس الشخصيات المهاجرة طوعاً أو كرهاً، لتعيش بعد ذلك مرحلة الشتات بين أوربا وأمريكا وكندا وبعض الدول العربية مما ساهم في ضياع الهوية خصوصاً عند الأجيال التي تلت المهاجرين الأوائل.

CONFLICT OF IN TERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر

[1] بدر، علي، أساتذة الوهم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، بيروت، (2013).

[2] إبراهيم، سلام، رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال، مجلة تبين للدراسات الفلسفية والنظريات النقدية، معهد الدوحة للدراسات، (2012).

[3] أنطوان، سنان، رواية فهرس، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، (2016).

[4] سعداوي، أحمد، رواية فرانكشتاين في بغداد، منشورات الجمل، ط3، لبنان، بيروت، (2014).

[5] انطوان، سنان، رواية يا مريم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، لبنان، بيروت، (2014).

[6] كجه جي، انعام، رواية طشاري، منشورات دار الجديد، ط2، لبنان، بيروت، (2013).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq